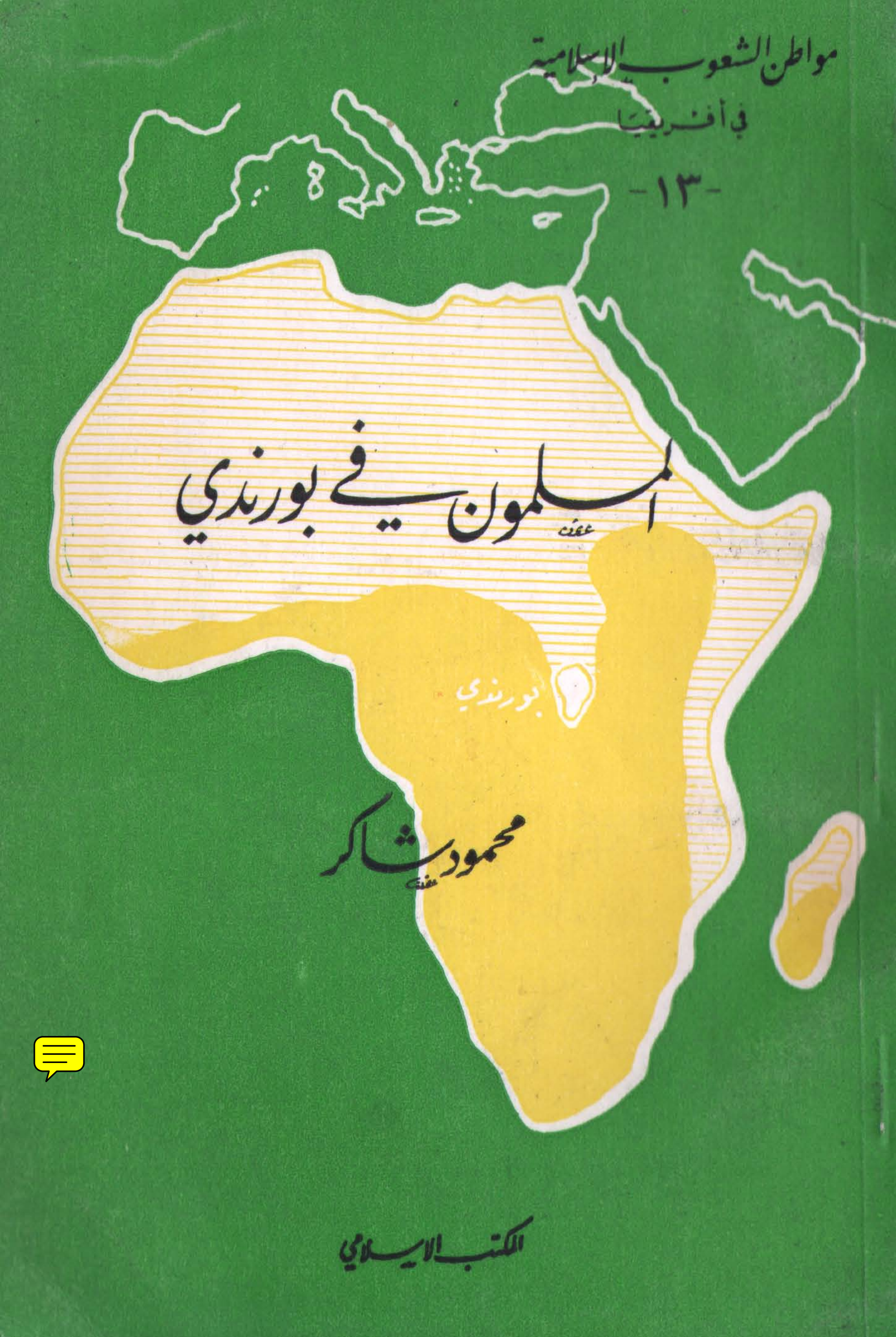


مواطن الشعوب الإسلامية
في أفريقيا
-١٣-
المسلمون في بوروندي
بوروندي
محمود شاكر
المكتب الإسلامي

الطبعة الأولى

١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م

المكتب الاسلامي : بيروت - ص.ب : ١١/٣٧٧١ - برقيا : اسلاميا .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين وبعد :

يتلقى الطلاب في مدارس التبشير النصرانية معلومات خاطئة عن الاسلام ، فيها السم القاتل ، وتحمل الشيء الكثير من الحقد عليه وعلى رسوله الكريم ، ويأخذون فيها توجيهات عن إفريقية توضّح أن الافريقين بسطاء يرضون بالذل ، ويرضخون للمستبد ، يخضعون للضغط ، ويخنعون للقوة ، يستبد بهم الاحسان ويأخذهم المعروف إلى حيث يريد صاحبه وبخاصة انهم فقراء ينتابهم المرض ، ويعمّ فيهم الجهل وتؤثر فيهم الخرافة . وتبين لهم هذه المدارس ان الاوربيين وان إفترقت كلمتهم السياسية ، وتباينت افكارهم ، واختلفت اتجاهاتهم إلا انهم جميعاً وراء الارساليات التبشيرية التي تعمل هناك على اختلاف كنائسها ، تتلقى منها المعونة،وتحصل على المساعدة ، وينظر اليها بعين العطف على الأقل – حتى ممن تنكروا للكنيسة – باسم الوقوف في وجه الاسلام ، وفوق كل هذا فالدول الأوربيتا تسيطر على بعض الدول الاسلامية ، ولها نفوذ كبير على بعضها الآخر ، وقد استطاعت أن تفرق بين المسلمين ، وان تبعدهم عن دينهم ، وقد توفق بين بعض الأمصار عندما يتلقون منها الخطوط العريضة للسياسة العامة والتوجيهات الأساسية ، ومما يتلقونه ان المسلمين قد استطاعوا بمكرهم الكبير ان يؤثروا على بعض الافريقيين

السذج وان يدخلوهم في دينهم وبخاصة انهم يتفقون معهم في تعدد الزوجات والرغبة الملحة في الجنس ، وهذا ما ترفضه الكنيسة .

وبسبب هذه المعلومات التي يحصل عليها هؤلاء الطلاب تصبح عندهم رغبة كبيرة في الذهاب إلى إفريقية للتبشير هناك ، وكل واحد منهم يظن أنه يستطيع أن يؤثر على اهلها جميعاً بما يملك من امكانات فكرية ، وتفوق واضح ، ولما خلد في ذهنه عن بساطة اهلها ، ثم بسبب قوة الدعم والإمكانات التي يحصلون عليها إذ يمكنه ذلك من ان يسدي المعروف الكثير في المدارس والمشافي فيجذب الإفريقيين نحوها جذباً وبخاصة أن المسلمين ليس لديهم من طاقة للقيام بمثل هذه الأعمال ، فالضرورة تجبر الافريقيين الاتجاه نحو المؤسسات التبشيرية .

وما ان يصل احدهم إلى تلك الأرجاء إلا ويجد فعلا تلك المراكز التبشيرية الضخمة المقامة على امكنة مرتفعة وعلى ربا عالية تتسامق في العلو وتتسابق في الضخامة كانها تريد ان تشعر أهل البلاد بمكانة ساكنيها ، وتشعر ساكنيها بتعاليهم على اهل البلاد بل على إفريقية كلها . ولا يحس من يقيم هناك باثر الدعوة الاسلامية ما دام ليس وراءها احد ، وإن وجد فخلافا تقائمة ، أو مظهر سياسي ، إذ ان الدول الأوروبية قد جعلت الجند في بلاد المسلمين تذل الدعاة ، وتخضع الرقاب ، وتتلف مافي البلاد نهبا أو افسادا . بينما المراكز التبشيرية النصرانية بامكاناتها هي دولة قائمة بذاتها ضمن دولة . مع كل هذا يصطدم المبشر بالأمر الواقع عندما يباشر عمله إذ يسمع النشيد السماوي الخالد يصدح من تلك المنارات العالية فيدوي في الآفاق فتردد صداه المرتفعات في سكون الليل ومع صخب النهار مع

هدوء الكون ، ومع ضجة الأعمال ، وينقلب الصوت إلى الأوديةبنغمة شجية ويتلاشى في اعماقها ، وما ان يخفت صوت حتى يتبعه آخر فتهتز الأشجار وتلين معه الصخور وتنصت المياه وتردد الجبال وتتلقى الأودية ... وتتضاءل المراكز التبشيرية المرتفعة امام ارتفاع الصوت وتنكمش امام شجوه .

ويخيّب هذا الصوت رجاء المبشر ، ويضيّع إقبال الناس على الاسلام امله ، ولولا المكابرة والتعنت ورغبات الدنيا وهوى النفس ورواسب ما تلقاه في بيئته ودراسته لسار هو بالذات على درب هؤلاء السكان . ويظل يعمل بنشاط ، ويصرف بسخاء ، ويتلقى بكثرة ، وتأتيه اعداد ، ومع هذا يبقى عمله وعمل الارساليات كافة دون انطلاق الاسلام وانتشاره إذ انه دين الفطرة ولطالما فتحت له قلوب ولم تطأ ارض اصحابها جند ، ولم تصل إليها فتوحات ، ولم يرتدها دعاة ، ولم تكن وراء ذلك دول ولا منظمات او ارساليات فجنوب شرقي آسيا كله وشرقي إفريقية كافة وارجاء واسعة كثيرة اعتنق اهلها الاسلام ودانوا به من تلقاء أنفسهم ، على حين لم تنتشر النصرانية إلا في ظل الاستعمار او تحت راية الاحتلال ومع ضغوط ارساليات التبشير أو تحت تأثير الحاجة الملحة إلى العلم والغذاء والعلاج والدواء .





موقع بوروندي في إفريقية

العرب في شرقي إفريقية

وصل الإسلام إلى (بورندي) عن طريق العرب في شرقيّ إفريقية في وقت متأخر لا يزيد على أواخر القرن الثالث عشر الهجري ، ولعل من السمات البارزة للعرب أنهم أمة تجارية ، وفي الوقت الذي كانت فيه قوافلهم البرية تجتاز الصحارى وتتحمل المشاق في سبيل التجارة ، كانت سفنهم تبحر الى الجهات جميعها ، وتمخر عباب البحار والمحيطات للحصول على الأرباح ، ومن هذا كانت صلتهم قائمة بشرقي إفريقية وما جاورهم من سواحل منذ قرون خلت قبل الميلاد . وقد أهّلتهم زعامتهم التجارية للسيطرة على سواحل إفريقية التي كان الإغريق يطلقون عليها اسم « أزانيا » . هذا النفوذ التجاري جعل الاحتكاك واسعاً ، وهذه السيطرة جعلت الصلة قوية بين جنوبي الجزيرة العربية وهذه المناطق ، حتى أدى هذا إلى اختلاط الأمر عند بعض المؤرخين فزعم بعضهم أن زعماء إفريقيين حكموا جنوبي الجزيرة العربية ، وأن رجالاً منهم قد ملكوا ممالك في جنوبي أرض العرب ، ومن هنا كذلك ظهر خطأ تسمية الساحل الإفريقي في جنوب الصومال باسم ساحل «أوسان» عند بعض المؤرخين على حين كانت « أوسان » إحدى ممالك اليمن

التي عاصرت دولة معين ، وكانت تسيطر على الجزء الجنوبي من اليمن ، وعرفت سواحلها باسم ساحل « أوسان » ، وكانت أشهر قبائلها قبيلة « المعافر » التي حكمت الدولة مدة من الزمن ليست بالقصيرة . وقد قضت دولة « سبأ » على حكومة «أوسان» كما قضت على دولتي « معين » و « قتبان » .. وكانت سفن مدينة « موزع » التي تقع قرب باب المندب أكثر سفن العرب صلة بالساحل الإفريقي .

هذه الصلة بين العرب قبل الإسلام وسكان شرقي إفريقية لم تكن عميقة الجذور متينة الروابط لأنها لم تكن تستند إلا على العلاقة المادية ، وهذه العلاقة وإن كانت تظهر قوية الوشائج في بعض الأحيان وبخاصة عند الأمم الضعيفة والشعوب الفقيرة إلا أنها في الواقع لاتلبث أن تشكل خطوط انفصام بين الأطراف المعنية، حيث يريد كل طرف أن يطغى على الآخر ، ويسيطر عليه ، ويحصل على نصيب الأسد من الثروة والانتفاع بالرزق والتقوية بالمال ، ويريد القوي أن يفرض شروطه ويرغم الآخرين على قبول آرائه والأخذ بنظرياته مقابل المساعدة التي يقدمها . وكم من دولة ترتبط مع الأخرى بنظام اقتصادي واحد وتكافح في سبيل غاية مشتركة – حسب اصطلاحها – والواقع ان هذا ليس الا تجارة بالقول تريد منه تسخير الأخرى لمصلحتها وربطها بفلكها والاستفادة من مواردها ، وما يحدث بين الدول يحدث بين الأفراد ، فالغني المتغطرس يعد الفقير عالة عليه وليس أهلا للعمل ، فما أوصله إلى حاله التي هو

عليها إلا كسله وتواكله ، لذلك يطلب منه أن يسير برأيه ويتبع وجهة نظره ويخدمه ويلبي مطالبه ليحصل على العون والمساعدة وليحيا حياة جيدة .

نظر سكان شرقي إفريقية إلى العرب نظرتهم إلى التجار ، لايقدمون إلى بلادهم إلا لمصلحتهم ، ينتزعون منهم ماهو لهم ، ويثرون على حسابهم ، فكانت نظرتهم إليهم نظرة الريب والشك ، هذه الصلة لا يمكن أن تطول ، ولا يمكن أن تستمر فأقل حادثة يمكن أن يعفي على كل أثر لها . وإذا احتفظت اللغات الافريقية بعدد ليس بالقليل من الكلمات العربية فمرد ذلك إلى أن لغة القوي الغالب تسيطر ، ولهجة التاجر تعمّ ، وإذا كان هذا الاحتفاظ قد استمر بل زاد كثيراً فذلك يعود إلى انتشار الإسلام في إفريقية فيما بعد .

لم يمض وقت طويل حتى داهم الأحباش جنوبي الجزيرة العربية واحتلوها على الرغم من أن العلاقات قوية بين المنطقتين وعلى الرغم من أن الصلات المادية متينة بين الطرفين ، ولقد كان هذا الهجوم وهذا الاحتلال بدافع وتحريض من الروم الذين يرتبطون مع الأحباش برابطة الدين ، وهكذا فقد زال كل أثر للمادة عندما وجد رابط الروح والعقيدة . ولو كان عدد سكان شرقي إفريقية يسمح لهم بالحروب والانسياح في الأرض لانطلقوا نحو الجزيرة العربية يحاولون اقتحامها قبل الاسلام كما اقتحمها الأحباش .



توسّع المسلمين
داخل إفريقية
ومراكزهم

المقياس

٠ ٢٠٠ ٤٠٠ ٦٠٠ ٨٠٠ كيلومتر

المسلمون في شرقي إفريقية

إذا كانت الصلة قديماً بين العرب وشرقي إفريقية قد قامت على أسس واهية لأنها بنيت على المنفعة ، فإن هذه الصلة بعد الإسلام قد أصبحت عميقة الجذور ثابتة الأركان ، لأنها قامت على الروابط الروحية ، وبنيت على أساس العقيدة والفكر .

انتشر الإسلام في الجزيرة العربية ، واقتضت حكمة الله تعالى أن ينتقل صاحب الدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بارئه ولما ينطلق الاسلام من أرض العرب بعد ، وتولت قريش الخلافة ، وقريش مهدها مكة ، ومكة مدينة داخلية تنطلق منها وإليها القوافل البرية ، وكذا يثرب التي أضحت مركز الدولة الإسلامية ، فكان الخلفاء يرغبون في نشر الدعوة براً حسب العادة التي مشوا عليها ، ويكرهون ركوب البحر ، حتى ان الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يرض أن ينشىء واليه في الشام أسطولاً ينازل الروم كما ينازلونه ، وعندما وافق أخيراً أمر أن يكون ركوب البحر اختيارياً وألا يجبر مسلم على العمل والجهاد في البحر . واقتضت الحكمة والخطة أن يكون سير الجيوش الاسلامية نحو الشمال والشرق لضرب أعظم قوتين في العالم آنذاك وهما دولتا الفرس

والروم ، إذ يمكن بعد الانتهاء منهما والقضاء عليهما أن تسير الدعوة في أي اتجاه دون وجود طغاة يقفون في وجهها ، وأن ينطلق الجهاد إلى كل مكان دون وجود معاندين ، أما قبل القضاء عليهما أو بوجود إحدى هاتين القوتين فلا يمكن للاسلام أن ينتشر دون مقاومة يدعمها الطغاة في أي مكان كانوا .

وشاءت إرادة الله أن يُقضى على دولة الفرس ، وأن تبقى دولة الروم قائمة في بعض أجزائها ، وقابعة فيها ، تنازل المسلمين وينازلونها ، واستمرت المعارك سجالاً بين الطرفين مدة تزيد على سبعة قرون متواصلة ، وان كانت تتقلص تدريجيا ، وتنحسر عن مواقعها ببطء حتى كتب عليها أن تزول . في هذا الزمن شغل خلفاء المسلمين في قتال الروم ، ولم يلتفتوا إلى غيرهم إلا قليلاً ومن خلال الظروف الطارئة والمناسبات الراهنة . وكانت الرغبة في الجهاد تضطرم في نفوس المؤمنين كلما استقرت الأوضاع الداخلية فيندفعون في فتوحاتهم ، وتهدأ كلما أثيرت القلاقل وحدثت المشكلات وقامت الخلافات .

وإذا كانت هذه الخلافات الداخلية سبباً في توقف الفتوح وانقطاع الجهاد فإنها كانت من ناحية أخرى مجالاً لهرب الجماعات التي يُغلب على أمرها ، وهجرة الفئات التي تنهزم أمام خصمها ، هذا الانتقال يحمل في ضمنه توسعاً للاسلام ، اذ أن هذه الأقوام الفارة من مواطنها تبث أفكارها ، وتنشر دعوتها باحتكاكها بالشعوب

التي أصبحت تجاورها والأقوام التي أضحت تتعامل معها . وقد يثور بعض المجاهدين على توقف الفتوح فيندفع بذاته ليعمل عن طريق لسانه بدلاً من سيفه . وكذا يفعل التجار الذين يعودون لتجارتهم ، ويحملون بضائعهم عندما تهدأ جذوة الجهاد أو تتقاتل الأطراف .

وعندما كان عبد الملك بن مروان خليفة بالشام أوكل إلى عامله على العراق الحجاج بن يوسف الثقفي ملاحقة الخوارج ، فعمل الوالي جهده كله لقتالهم ، وجند لمحاربتهم القادة الكبار كالمهلب بن أبي صفرة حتى استطاع التغلب عليهم ومطاردتهم حيثما تجمعوا ، فخرج بعضهم فراراً منه وهربا برأيهم إلى سواحل شرقي إفريقية ، وسيطروا في طريقهم على جزيرة « سوقطرى » ، وانتشروا في بقية السواحل ، وهناك بدؤوا يعملون للاسلام ــ حسب مذهبهم ــ ويدعون لرأيهم تاركين وراءهم كل مافي شرقي الخلافة من مشكلات ومنازعات .

ولم يستقر الحكم للعباسيين في بغداد ، وتهدأ لهم الأوضاع حتى بدأت نار الحرب تستعر بينهم وبين أبناء عمومتهم من أبناء علي ، ، وقد لقوا الشيعة فيها مالقوا أيام الأمويين من قبل وفر بعضهم متجهين نحو شرقي إفريقية في أواخر القرن الثالث الهجري ، وتوزعوا هناك جنوبي مدينة « مقديشيو » ، وكانوا يدعون إلى الاسلام ــ حسب مذهبهم ــ .

وذهبت جماعة أخرى من « شيراز » إلى تلك الأصقاع ونشرت المذهب الشيعي هناك ، وتروى الأخبار أن من أشهرهم رجلا يدعى (الحسن بن علي) ذهب إلى شرقي إفريقية لأسباب وظروف غامضة مع أبنائه الستة وذلك حوالي عام ٣٦٠ للهجرة ، فتفرقت بهم السفن قبل الوصول ، فنزل أحدهم في مدينة (مومباسا)[١] ، ورست مراكب الاخر في جزيرة (بمبا)[٢] ، بينما وصل الثالث إلى جزيرة (أنجوان) إحدى جزائر القمُر ، أما الأب فقد نزل مع بعض أبنائه الآخرين في مدينة (كيلوا)[٣] ، واستطاع الأب أن يؤسس بعد نزوله بمدة من الوقت حكومة امتدت حتى شملت المناطق التي يقيم فيها أبناؤه كلهم .

وانطلقت جماعة من الاحساء إلى تلك الجهات ، وعملت نشر الاسلام ، وإليها يعود الفضل في نشر المذهب الشافعي هناك ، وهو المذهب الغالب اليوم في شرقي إفريقية .

وخرج أفراد وجماعات ضاقوا ذرعاً بانقسام الدولة وتوقف الفتوحات وبطء الدعوة فيمّموا وجههم شطر تلك المناطق تجاراً أو

---

(١) مومباسا : مدينة عامرة على سواحل كينيا .
(٢) بمبا : جزيرة تقع شمال زنجبار وتتبعها .
(٣) كيلوا : مدينة عامرة على سواحل تانزانيا جنوب مدينة دار السلام ، وقد بناها العرب وأسموها (القلعة) ، وحرفت فيما بعد إلى (كيلوا) .

دعاة ، تجاراً يتخذون من التجارة وسيلة للدعوة ، ودعاة يبغون من الدعوة أجراً عند الله .

ولم ينتشر المسلمون على طول سواحل إفريقية الشرقية بل عمروا الشمالية منها فقط ، فلم يذهبوا وراء مدينة (سفالة)[٤] ، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن الرياح المنتظمة لاتهب جنوب المناطق المدارية ، بل كثيرا ما تهب عواصف لاضابط لأوقاتها ، والسفن آنذاك شراعية تحتاج إلى رياح منتظمة لدفعها ، كما أن تيار موزامبيق البحري الحار — وان كان يساعد في التقدم جنوبا — إلا أنه يعرقل العودة والاتجاه شمالا ، إضافة إلى أن المناخ جنوب (سفالة) يصبح أكثر برودة ، ومعظم المسلمين الذين قدموا إلى شرقي إفريقية جاؤوا من مناطق أميل إلى الحرارة ، إذ أتوا من جنوبي الجزيرة العربية وسواحل الخليج العربي ، وشديد على الانسان مالم يتعوّد ، زد على ذلك قلة السكان جنوبي تلك الأماكن فلا التجارة تصلح ولا الدعوة تجدي .

لم يؤسس هؤلاء المسلمون دولة واحدة في شرقي إفريقية فقد كانت آراؤهم شتى ، وأهواؤهم مختلفة — كما رأينا — . بل إن الدولة الاسلامية نفسها كانت قد انقسمت في تلك الأيام إلى أقسام ودويلات ، ولم تكن هذه الأقسام المتعددة تحمل اتجاهات سياسية فقط بل تحمل كذلك بعض الاتجاهات الفكرية والعقيدية ، فقد

---

(٤) سفالة : مدينة تقع اليوم في موزامبيق .

سيطر البويهيون على الدولة العباسية ــ وهم من الشيعة ــ وكان الخلفاء من أهل السنة وان لم يكن انفراج الزاوية بين الطرفين قد بلغ مداه بعد ، وقامت الدولة العبيدية (الفاطمية) في مصر والمغرب. وكان هؤلاء القادمون يمثلون هذه الاتجاهات ، علاوة على الآراء المختلفة التي تحارب الجميع والتي لم يقدر لها أن تتسلم الأمر أو أن يكون لها شأن في الحكم ، هذا مع وجود دولة الأمويين في الأندلس ، وقد ذاع صيتها . لذلك فقد أسست كل جماعة لها رأيها الخاص دولة خاصة بها أو مدينة تحكمها ، وكان لهذه الدول والمدن نوع من التعاون مادامت كلها دار اسلام .

استمرت هذه الدويلات حتى القرن الخامس الهجري،واشتهر أمرها كثيراً وأصبحت تدعى امبراطورية الزنج ، وعاصمتها مدينة (كيلوا) ، وفي القرن الثامن الهجري امتد سلطان ملوك (كيلوا)إلى المناطق الساحلية كافة من حدود الصومال إلى أواخر حدود تانزانيا اليوم ، وكانوا على اتصال مع دولة المماليك في مصر .

لم يتوغل المسلمون حتى ذلك الوقت في إفريقية ، ولم تنطلق دعوتهم بعيدا عن الساحل ولعل السبب في ذلك يعود الى صعوبة المناخ وازدحام الأشجار وقلة السكان لذا لم تتيسر لهم الطرق وإنما كانت أراض بكر وغابات عذراء وبلاد موحشة ووحوش كثيرة وقبائل قليلة فالانتقال لا يكون إلا في متاهات تكثر فيها الأخطار ، إضافة إلى أن السكان ــ وهم قدفروا من غيرهم ،ومن الذين سلطهم

الله عليهم بعد أن عتوا عن أمر ربهم ـ فكانوا يخشون كل غريب ، ويتجنبون كل داخل ويفرون من وجه أي قادم ، لذا فلا التجارة تصلح في الداخل ولا الدعاة يسيرون ، وانما تهدد كلاً منهما الأخطار من أن ييمموا وجههم صوب وسط إفريقية .

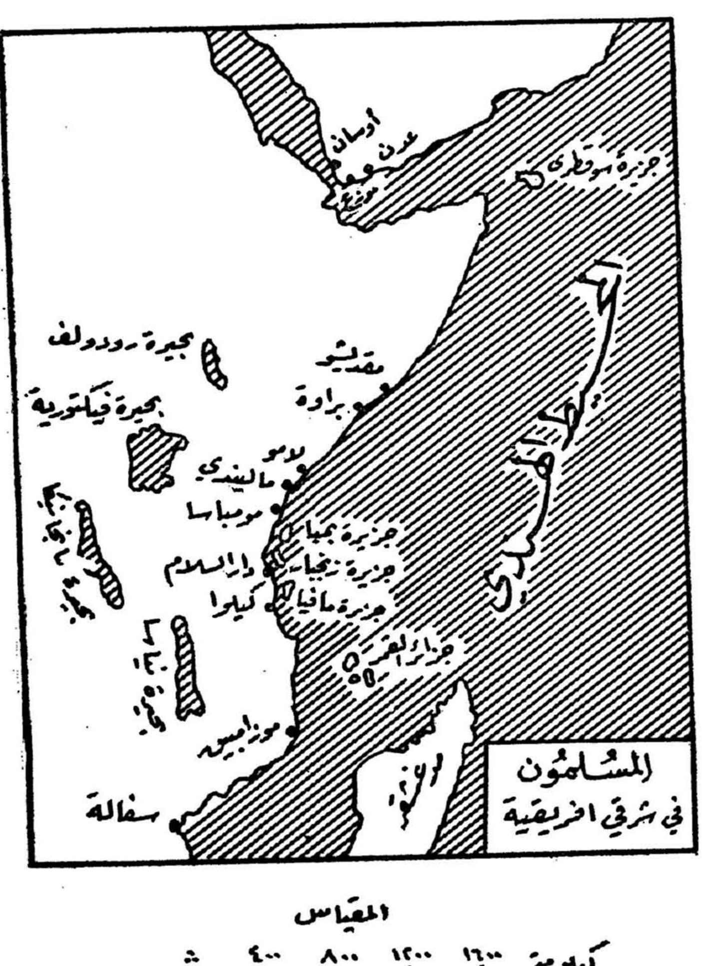
لهذا بقيت المناطق الداخلية في إفريقية ومن بينها «بوروندي» حتى هذه المدة بعيدة عن الإسلام تتنقل في ربوعها قبائل قليلة العدد بدائية التفكير وثنية العقيدة يخشى أفرادها الغرباء ، وقد ذاقوا من الجبابرة أصناف العذاب ففروا أمامهم واختبؤوا منهم في مخابىء طبيعية ولا يزال بعضهم منعزلين فيها إلى الآن .

وقد زار الرحالة ابن بطوطة مدن المسلمين الساحلية وأعجب بها فيقول : «ثم ركبت البحرمن مدينة (مقديشو) متوجها إلى بلاد السواحل قاصداً مدينة (كيلوا) من بلاد الزنوج فوصلنا إلى جزيرة (منبسي)[1] وهي جزيرة كبيرة بينها وبين أرض السواحل مسيرة يومين في البحر ولا بر لها ، وأشجارها الموز والليمون والأترج ، وأكثر طعامهم الموز والسمك ، وهم شافعية المذهب ، أهل دين وعفاف وصلاح ، ومساجدهم من الخشب محكمة الاتقان ، وبتنا بهذه الجزيرة ليلة وركبنا البحر إلى مدينة (كيلوا) وهي مدينة

---

(١) جزيرة منبسي : يقصد بها جزيرة بمبا وليس ممباسا لأن ممباسا لاتبعد كثيرا عن الساحل كالذي يذكره .

عظيمة ساحلية ، أكثر أهلها من الزنوج المستحكمي السواد ....
وذكر لي بعض التجار أن مدينة (سفالة) على مسيرة نصف شهر من
مدينة (كيلوا) ، ومدينة (كيلوا) من أحسن المدن وأتقنها عمارة
وكلها بالخشب ، والأمطار بها كثيرة ، وهم أهل جهاد لأنهم في بر
واحد متصل مع كفار الزنوج ، والغالب عليهم الدين والصلاح وهم
شافعية المذهب » ، ويتكلم عن سلطانها فيقول : « يغير عليهم (على
الكفار) ويأخذ الغنائم فيخرج خمسها ويصرفه في مصارفه المعيّنة
في كتاب الله » .



المسلمون في شرقي افريقية

الحكم البرتغالي في شرقي إفريقية

كانت المدن في شرقي إفريقية تعيش حياة منتظمة رتيبة لا يزعجها شيء ولا يهم سكانها إلا الدعوة للاسلام ، وبينما هم على ذلك الحال إذ طلع عليهم البرتغاليون من الجنوب ، وكانوا أخرجوا مع الاسبان المسلمين من الأندلس وانطلقوا وراهم حسب مخطط مدروس يريدون حصارهم من كل الجهات ...

خرج البرتغاليون على المسلمين وقد تهيبوهم أول الأمر فكانوا معهم وديعين ، كما أن شيخ موزامبيق قد استقبلهم استقبالا حسناً وخرج للقائهم ، واكرم وفادتهم على الطريقة التي سنت لنا في استقبال الغريب واستجارة المستجير . أما المسلمون فكانوا في وضع ضعيف إذ كانوا تجاراً لا محاربين ودعاة لا جهاد عندهم بعد ولم تكن هناك دولة إسلامية تحميهم وتدعمهم وتشد أزرهم .. وقد بُهر البرتغاليون بمدن شرقي إفريقية المسلمة وحسنها وثروتها ، وظهر ذلك في كتبهم فقد كتب أحدهم عن مدينة كيلوا فقال : « هي ذات بيوت حسنة مبنية بالحجر والجص ، كثيرة الشبابيك على مثال شبابيكنا ، شوارعها منتظمة حسنة ، وسطوح بيوتها مستوية ، والأبواب من خشب منحوت مزخرف وصناعتها متقنة محكمة ،

وحولها أنهار وبساتين وجنات تجري فيها قنوات ماء عذب ، وفي هذه المدينة ذهب وافر إذ ما من مركب يأتي من (سفالة) أو يمر إليها إلا ويقف في هذه المدينة » .

عرف البرتغاليون وضع المسلمين الحقيقي وماهم عليه من قلة الجند واختلاف الآراء ، كما وصلت إليهم معلومات عن مصر وحكامها المماليك وعندها كشروا عن أنيابهم ، وأظهروا حقدهم الصليبي ومهمتهم التي جاؤوا من أجلها فأحرقوا المزارع ، ودمروا المدن ، وهدموا الأبنية ، ونهبوا الثروات . ثم أقاموا مراكز لهم على سواحل إفريقية الشرقية ، كما استطاعوا الانتصار على المماليك ، ووصلوا الى الشرق ودانت لهم مراكز كثيرة ومواقع عديدة .

زوال الحكم البرتغالي :

إن الأعمال الوحشية التي قام بها البرتغاليون ، والحقد الصليبي الذي أبدوه ، واختلاف العقيدة بينهم وبين السكان كل هذا جعل السكان يتحينون الفرص بهم ويتربصون بهم الدوائر . كما أن العثمانيين الذي قوي أمرهم أرادوا أن يحافظوا على سمعتهم بحماية دار الاسلام فبعد أن رأوا أن البرتغاليين قد احتلوا (عدن) عام ٩١٩ هـ ، و (هرمز) عام ٩٢٠ هـ ، ودخلوا الخليج العربي عام ٩٢١ هـ ، وكانت نيتهم دخول مكة والمدينة ونبش قبر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم حتى يسلم لهم المسلمون « القدس »

عندها أسرع العثمانيون فقاتلوا أنصار البرتغاليين ، ودخلوا مدينة (تبريز) عام ٩٢٠ هـ ، ثم اتجهوا نحو المماليك الذين لم يرغبوا في التحالف مع العثمانيين للوقوف في وجه البرتغاليين ، فدخلوا بلادهم وقضوا على مملكتهم عام ٩٢٣ هـ ، ووصلوا إلى سواحل المحيط الهندي ، ونازلوا البرتغاليين ، واستطاعوا اخراجهم من بعض مراكزهم إذ أنقذوا (عدن) من أيديهم عام ٩٤٥ هـ . كما أن الانكليز الذين بدؤوا ينافسون البرتغاليين لأسباب اقتصادية ويحسدونهم على ماحصلوا عليه من غنائم ، ويريدون أن تكون لهم قوة أكبر من قوة البرتغاليين في مواجهة المسلمين ، ثم هناك عوامل أخرى وهي قلة عدد البرتغاليين مع اتساع المناطق التي يسيطرون عليها بالاضافة إلى أن الاسبان قد احتلوا أرض البرتغاليين وجعلوها جزءاً من دولتهم من ٩٨٨ ــ ١٠٥٠ هـ . كل هذه الأمور أدت إلى تقلص نفوذ البرتغاليين في المشرق وضعف مركزهم ، ثم استيلاء خصومهم على أكثر مستعمراتهم ، إذ أخذ الانكليز جزيرة (هرمز) في الخليج العربي عام ١٠٣٢ هـ ، كما أن إمام عمان قد أجلاهم عن (مسقط) ، واندثر الاستعمار البرتغالي من ربوع الخليج العربي ولم يبق لهم في المحيط الهندي إلا مراكز قليلة أشهرها « غوا » على سواحل الهند الغربية .

عودة المسلمين الى الحكم :

وبزوال النفوذ البرتغالي من شرقي إفريقية بدأت المدن تستعيد

قوتها وتسترجع مجدها ، وكان لإمام عمان نفوذ كبير في شرقي إفريقية لأن أسرة (بني يعرب) التي حكمت عمان من ١٠٣٤ ـ ١١٥٤ هـ قد عملت على طرد البرتغاليين من عمان ، ولاحقتهم في كل مكان وبخاصة في عهد السلطان (سيف بن سلطان) الذي قام بفتوحات كثيرة ، وقضى على ما بقي للبرتغاليين من نفوذ في المنطقة بين (مومباسا) في الشمال و (موزامبيق) في الجنوب ، ويعرف (سيف بن سلطان) هذا لدى أهالي البلاد بلقب « قيد البحر » ، هذا السلطان أدخل المذهب الاباضي إلى المنطقة ، وأصبح مذهب الأسرة المالكة في (زنجبار) . وبعد انتهاء حكم أسرة (بني يعرب) في عمان تسلم الأمر الأئمة (السعيديون) الذي كان أولهم الإمام (أحمد بن سعيد) والذي حكم ١١٥٤ ـ ١١٨٨ هـ ، ثم جاء بعده ابنه (سعيد بن أحمد ١١٨٨ ـ ١١٩٣ هـ) ومنذ سنة ١١٩٣ هـ تغير الحاكم من إمام إلى سيد وذلك في عهد (حميد بن سعيد) الذي استمر في حكمه حتى عام ١٢٠٦ هـ ، وفي عهده تم الاستيلاء على زنجبار ومراكز في شرقي إفريقية ، ثم جاء (سلطان بن أحمد) الذي حكم حتى عام ١٢١٩ هـ ، وأتى بعده ابنه سالم ولم يطل به الأمر حيث جاء بعده أخوه (سعيد بن سلطان) . والواقع أن ولاء المدن الساحلية في شرقي إفريقية لعمان بدأ يضمحل شيئاً فشيئاً حتى عام ١٢٤٨ هـ . وعندها نقل سيد (سعيد بن سلطان) عاصمته من مدينة مسقط على خليج عمان إلى زنجبار في ساحل إفريقية وبهذا عاد الولاء بل أصبح مركز سادة عمان إنما هو شرقي

احمد بن سعيد (١١٥٤ ـ ١١٨٨)

سعيد (١١٨٨ ـ ١١٩٣)

حميد (١١٩٣ ـ ١٢٠٦)

سلطان (١٢٠٦ ـ ١٢١٩)

سالم (١٢١٩ ـ ١٢١٩)

سعيد (١٢١٩ ـ ١٢٧٣)

برغش (١٢٨٧ ـ ١٣٠٦)
سلطان زنجبار

ماجد (١٢٧٣ ـ ١٢٨٧)
سلطان زنجبار

تويني
سلطان عمان

سيد خليفة (١٣٠٦ ـ ١٣٨٠)

جلمشيد (١٣٨٠ ـ ١٣٨٣)

إفريقية • وفي عام ١٢٧٣ هـ توفي (سعيد بن سلطان) وقسمت مملكته بين ولديه ، وكان القطاع الإفريقي من نصيب (ماجد) بينما حكم عمان ابنه الآخر (تويني) ، وبهذا أصبح شرقي إفريقية دولــة إسلامية خاصة •

ولما زادت أملاك زنجبار في البر الافريقي نقل السلطان (ماجد ابن سعيد) اصمته من مدينة (زنجبار) في جزيرة (زنجبار) إلى (دار السلام) على الساحل الأفريقي •

توغل المسلمين إلى داخل إفريقية :

كان المسلمون قبل الاحتلال البرتغالي يلزمــون الساحــل ولايتعدونه ، ولم يكن انتقالهم إلى الداخل إلا في سبيل التجارة أو الدعوة ثم لم يلبث الفرد منهم أن يعود إلى مركزه في الساحل حيث مجال عمله ، ولأوضاع الداخل القبلية والغابية والمناخية الخاصة كان أثرهم ضعيفاً ، أما بعد الاحتلال البرتغالي فقد وجـدوا في ـــ طريقتهم الأولى خطأ كبيرا إذ لم تمكنهم من مقاومة الدخيل الأوربي إذ لاسند لهم في الداخل ولا قوة تدعمهم من أواسط البر الإفريقي، وكذلك لاحظوا خطأ البرتغاليين الذين ساروا على طريقتهم هم حيث لم يستطيعوا الثبات أيضاً أمام خصومهم لانحصارهم في الساحل وبناء نقاط قليلة لهم عليه يعتمدون عليها في التجارة والسيطرة • لهذا غيّر المسلمون خطتهم الأولى وبدؤوا يتوغلون في الداخل ، ويقيمون مراكز دائمة لهم للحكم والتجارة والدعوة ، واشتهر من

تلك المراكز (تابورا) وسط تانزانيا و (أوجيجي) على ضفة بحيرة (تانجانيكا) ، وكان في كل منهما وال من قبل سلطان (زنجبار) سيد السواحل في تلك الحين ، وكان رؤساء القبائل الإفريقية في تلك المنطقة يدفعون الجزية أو يعاهدون الولاة ، وكانت الجزية في أيام (سعيد) والد (ماجد) ريالين عن كل شخص ، وكان تطبيق الحدود قائماً ، ولم يعتمد في تنفيذ سياسته إلا على ثلثمائة من جنده المسلمين بالرماح والقسي جاء بهم من جزيرة (سوقطرى) ، وكانت هناك فرقة من الجند المرتزقة من أهل البلاد تقوم بحراسة الطرق التي امتدت في المنطقة كافة ووصلت إلى غربي البحيرات الكبرى بما في ذلك (بوروندي) ، كما كان من وظيفة هذه الفرقة القبض على المجرمين ، ومع هذا التوسع في المواصلات كان التقدم في التجارة نحو الداخل وانتشار اللغة السواحلية ، وكذلك فقد توغل المسلمون في (بوروندي) و (رواندا) و (الكونغو) في غرب بحيرة (تانجانيكا) ، وأقاموا مراكز لهم هناك ، وكان من أشهرهن المراكز (كاسونجو) و (نيانقفه) ، وكان من أشهر الولاة في تلك المنطقة (حامد بن محمد بن جمعة المرجبي) الذي التقى بأكثر الرحالة الأوربيين ، وقدّم لهم المساعدات ، وبقي المسلمون في تلك البقعة حتى أعلن ملك البلجيك إرسال الجنود والأموال لمساعدة الرحالة والاستيلاء على المنطقة باسم محاربة الرقيق ، وجرت الحرب بين المسلمين والأوربيين ١٣١٠ — ١٣١٢ هـ حيث خسر المسلمون المنطقة نتيجة تلك الحروب .

لقد نشر المسلمون هناك الاسلام واللغة السواحلية وأقاموا مراكز حضارية هامة وكانوا عاملا مهما في تقدم السكان ورقيهم يقول شكيب ارسلان : « اطلعت على رحلة لأحد أدباء البلجيك المسمى (فريتزفان درليندن Fritz van drlinden) استوفى فيها الشرح عن الكونغو ، فعثرت فيها على بعض جمل تتعلق بالعرب في الكونغو ، وعلمت أن الاسلام قد دخل هذه المملكة العظيمة التي هي (الكونغو البلجيكي)[1] ،قال في الصفحة ٢٦١ ، في بحث عن تداول الأهالي للمسكوكات «إن أكثر الأهالي المستعربين Arabises) يعرفون النقود،وإن تجار العرب من (الكاسونجو)[2] وأكبر التجار الذين لهم علاقات مع زنجبار ، يؤثرون الذهب لاسيما الليرة الاسترلينية، لأن علاقاتهم متصلة مع عرب الأوغاندة، والمستعمرات الألمانية في شرقي إفريقية . وتراهم مع شدة مراقبة الحكومة ، يتمكنون من أخذ العاج وادخال البارود إلى مستعمراتنا سراً[3] . وأما تجارة الرقيق فإنهم لايتعاطونها إلا في داخل البلاد من قرية إلى قرية[4] ومنع ذلك يكاد يكون مستحيلا ، إذ ليس الاسترقاق هو

(١) الكونغو البلجيكي : زائير

(٢) كاسونجو : مدينة تقع على نهر الكونغو في جنوب شرقي (زائير) وغرب بحيرة (تانجانيكا) ويعدها الكاتب مدينة عربية ، وهذا مايدل على أثر العرب .

(٣) وهذا يدل على أن العرب كانوا يقودون المقاومة ضد المستعمرين الأجانب ، ويدخلون إلى مراكزهم سراً ويوزعون الأسلحة للمقاومة .

(٤) وفي هذا دليل على ان العرب في الكونغو لم يعملوا في النخاسة ولم يتاجروا بالرقيق وإنما يشترون العبيد لخدمتهم الخاصة وبأعداد قليلة .

اليوم بالقوة المسلحة كما كان قبلا ، بل فظائع الاستعباد التي كان يصفها (ليفنسون وستورم) و (هوديستر) هذه كلها دخلت في خبر كان [١] . ولكن العربي أو المستعرب لايشتغل بيده فلايستغني عن العبد ، لأجل الغراس وخدمة البيت والنقل والحمل ، وليست معاملته للعبد بسيئة [٢] وقد ينتقل العبد من سيد إلى سيد ، والذي

---

(١) ويدل هذا الكلام على أن الرحالة والمستشرقين شوهوا سمعة المسلمين بكتابتهم البعيدة عن الحق والتي سجلت الكذب لتثير أوربا ضد المسلمين ولتعطي صورة بشعة عنهم .

(٢) المسلم لا يعامل العبد إلا معاملة حسنة ، ولا ينظر إليه إلا نظرة إنسانية . فقد روى ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من ضرب غلاماً له حداً لم يأته أو لطمه ، فإن كفارته أن يعتقه » ـ رواه مسلم .

وعن المعرور بن سويد قال : مررنا بأبي ذر ب (الربذة) وعليه برد ، وعلى غلامه مثله ، فقلنا : يا أبا ذر لو جمعت بينهما كانت حلة ، فقال : إنه كان بيني وبين رجل من إخواني كلام وكانت أمه أعجمية ، فعيَّرته بأمه ، فشكاني إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فلقيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية » قلت : يارسول الله من سب الرجال سبوا اباه وأمه قال : « يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية ، هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فأطعموهم مما تأكلون ، وألبسوهم مما تلبسون ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم » . ـ رواه مسلم ـ

(سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم العبيد إخوان ومنه أخذها أبو ذر رضي الله عنه) .

يظهر أنه لو تحرر هؤلاء العبيد كلهم دفعة واحـدة لكانت ضربة قاضية على سعادة البلاد ، وتحول هؤلاء إلى رعاع متشردين .

وإن العنصر العربي لايزال عظيماً في جهات (كاسونجو) ، لكن مجده الماضي قد زال ، والمراكز التي كانت (لموني محره) و (سعيد بن عبدلي) قد ذهبت . أما (كاسونجو) القديمة ، فهي قرية جميلة مبنية باللبن مقطعة الشوارع وهناك عرب صراح يلبسون جبباً بيضاء ؛ ويتلفعون بكوفيات مطرزة تطريزاً بديعاً ، سيماهم تدل على الكرامة والوقار ، وحركاتهم وسكناتهم مقرونة بالأدب التام ، والكياسة المتناهية ، والرصانة الفائقة ، فنسق حياتهم يختلف كثيراً عن نسق الزنجباريين العبيد القدماء ، الذين يظهرون عظمـة تستحـق السخرية ، بتقليدهـم ساداتهـم العرب في كسوتهـم ورفاهيتهم .

ومرة دعاني أحد العرب في (كاسونجو) إلى منزله قائلا : صباح الخير تفضل . فدخلت إلى بيته فوجدته مفروشاً بالحصير(١) ومزيناً بالمتاع اللطيف ، وأبواب البيت والشبابيك كلها منقوشة ، وعلى أحد الأبواب كتابة عربية أظنها آية من القرآن . فقدم لـي العربي طاساً لذيذاً من القهوة ، وباعني بعض الحصر ، وهو يظهر انما أسدى إلي مكرمة .

---

(١) البيت المفروش بالحصير كان في تلك الجهات أمر كبيرا لأن بيوت الزنوج والبدائيين على درجة كبيرة من البساطة .

وترى القرى على الطريق المؤدية من (كاسونجو) القديمة إلى (كاسونجو) كلها جميلة نظيفة والمسحة العربية بادية عليها ، ولكن مرض النوم فاشٍ في هذه الأنحاء ، وقد نقص كثيراً في عدد الأهالي في جوار (كاسونجو) . ولا تجد في جوار (كاسونجو) أكثر من ألف مستعرب من الرجال البالغين ، وثلاثة أو أربعة عرب صراح ، وأربعة أو خمسة زنجباريين . وليس بين الأهالي جامعة يخشى من عواقبها ، فنقدر أن ننظر إلى المستقبل باطمئنان .

ثم ذكر مدينة (نيانقفة[1] Nian Gwe) فنقل عن القائم المقام السويدي (غليروب Gleerub) قوله في سنة ١٨٨٦ م ١٣٠٤ هـ : «إن نيانقفة هي مقر العرب الأصلي ، وهي مقسومة إلى قسمين يفصل بينهما وادٍ عميق تكثر فيه مزارع الأرز ، فإذا بلغ ارتفاع نهر الكونغو معظمه طمت المياه على هذا الوادي . وقد ازدادت من عهد (ستانلي) ازدياداً عظيماً ، فأهالها اليوم يبلغون عشرة آلاف . وترى على جانب الوادي أفخر المزارع والمغارس وجميع الأشجار المثمرة المجلوبة من إفريقية الشرقية ، كذلك العرب أدخلوا فيها المواشي والحمير الفارهة للركوب» .

قال (فريتزفان درليندن) : «أما اليوم فقد نزلت (نيا نقفة) عن درجتها هذه بسبب ثورة ١٨٩٣ م ، ١٣١١ هـ ، وبمرض النوم

---

(١) نيانقفة : مدينة تقع شمالي كاسونجو بـ ٣٥ كم تقريباً .

أيضاً ، ولم يبق فيها إلا ألف رجل . وتحولت تلك المخارف البديعة التي كانت مصطفة بها الأشجار على ضفتي النهر ، إلى شعاب سطا عليها العوسج والشوك ، ولم يبق في (نيانقفة) منزل يستحق الذكر سوى منزل (بيانيسنغا Pianisengha) هذا الزعيم العربي الذي بقي أميناً للحكومة البلجيكية ، وحظي بمقابلة الملك في قصر بروكسل » .

ثم في الصفحة ٢٧٤ من الكتاب ذكر المؤلف نهر يتشعب من الكونغو ، ويمتد نحو ٣١٥ كيلو مترا بعرض يتفاوت من ٢٠٠ — ٦٠٠ م وقال : « إن على جانبيه القرى ، وإن الأهالي هم من العرب والمستعربين ، والطرّاء من أماكن بعيدة » ، ووصف العرب بالنظافة والاتقان في العمل ، وقال : « إن المستعربين والعبيد الذين يخدمونهم يشكلون قرى نظيفة تحيط بها مزارع أرز واسعة » ، ثم أطرى على هؤلاء الأهالي في شدة انهماكهم بالتجارة .

وفي الصفحة ٢٩٠ ذكر قرية مستعربة مدحها بنظافتها ، وبين الفرق العظيم بينها وبين القرى الأخرى التي يسكنها غير المستعربين ، وشاهد فيها سوقاً مهمة تقام كل يوم من الصبح الى نحو الظهر في ساحة القرية ، ووصف الدكاكين التي فيها ، معروضة أمامها أصناف البضائع ، وحوانيت الخياطين وباعة الخزف والخوص وغير ذلك ، وقال إن المستعربين رحبوا بهم ترحيباً ودعوهم إلى منازلهم ، فعاجوا [1] على معلم كتّاب أمامه جماعة من الصبيان يعلمهم القرآن .

---

(١) عاجوا : مرّوا .

وذكر أن سكان هذه القرية المستعربة يبلغ عددهم ألفي رجل • وقال : إنه سأل المسيو (دومولمنستر) المندوب العام في الكونغو عن عدد المستعربين في الولاية الشرقية من الكونغو فقال له : لا أقدر أن أجزم بشيء ، ولكنني أظن أنهم نحو مائتي ألف • فقال له : أفلا تراهم خطراً دائماً على المستعمرة ؟ فأجابه : كلا • لأنهم متفرقون ، ولأننا نحن نملك القوة اللازمة لقمع كل ثورة • ثم قال له : « طالما اتهم هؤلاء العرب والمستعربون تهماً باطلة ، فلا أنكر أنه يجب علينا مراقبتهم وإجبارهم على طاعة القوانين ولكن مما لا أنكره أيضاً أنهم عنصر جيد في البلاد، لأنهم قوّامون على الزراعة ، مدنيون بطبعهم، وعندهم ميل إلى الجنس الأبيض ، ونحن كل سنة نشتري منهم في جهات (ستانليفيل) [1] و (بونتيارفيل) [2] و (لوكاندو) [3] ، و (كيروندو) [4] ، مقداراً مهماً من الأرز » [5] •

---

(١) ستانليفيل : مدينة على نهر الكونغو ، وفيل تعني مدينة ، وستانلي هو أحد الرحالة الأوربيين الأوائل في إفريقية ، وتسمى اليوم (كيزنجاني) .

(٢) بونتيارفيل : مدينة على نهر الكونغو ايضاً وتقع جنوبي مدينة ستانليفيل بمسافة ٦٣ كم ، وتتصلان بخط حديدي ، وتسمى الآن (أوبوندو) .

(٣) لوكاندو : مدينة على نهر الكونغو أيضاً تقع جنوبي (كيزنجاني) بمسافة ٢٢٥ كم . وتقع شمالي كيندو ب ٢٠ كم تقريباً .

(٤) كيروندو : مدينة قريبة من نهر الكونغو على جهته اليمنى ، وتكاد يصل بناؤها الآن اليه ، وتقع جنوبي بونتيارفيل بمسافة ٤٠ كم تقريباً .

(٥) حاضر العالم الاسلامي تعليق شكيب ارسلان .

اقتسام الدول الأوربية للمنطقة :

كانت الدول الأوربية تقوم بحرب صليبية في استعمارها البلاد المسلمين إلا أن هذا لم يمنع من أن تتنافس فيما بينها للحصول على مناطق نفوذ أوسع أو تأخذ بقاعاً أكثر غنى ، ولكن لم تصل هذه المنافسة إلى درجة تندلع فيها الحرب بين هذه الدول إذ كثيراً ما كانت تتفاهم على اقتسام المناطق وتوزيع الغنائم ويتم الأمر بيسر ما دام يحدث على غير أرضها وفي منطقة بعيدة عن حدودها وخوفاً من تصاعد العملية وتفاقم الأمر ، وقد تم الاتفاق بين انكلترا وفرنسا وألمانيا وايطالية على مناطق النفوذ في شرقي إفريقية في مؤتمر برلين عام ١٣٠٣هـ ثم في بروكسل عام ١٣٠٦ هـ وذلك لضعف سلطنة زنجبار التي كانت لها السيطرة الاسمية هناك ، وانسحاب المصريين من السودان وشرقي إفريقية إثر الثورة المهدية عام ١٣٠٠ هـ ، وكانت مصر تحكم هذه المناطق باسم العثمانيين الذين ضعف أمرهم أيضاً ، فأخذت فرنسا منطقة (جيبوتي) ، ونالت انكلترا قسماً من (الصومال)، والمنطقة التي عرفت فيما بعد باسم (كينيا) ، واستولت ايطاليا على جزء من الصومال أيضاً ، وحصلت ألمانيا على الجزء الجنوبي من المنطقة والذي عرف فيما بعد باسم (تانجانيكا) وامتد نفوذها كثيراً إلى الداخل حتى شمل المرتفعات ، إذ ضمت إلى مستعمراتها بلاد (بوروندي) و(رواندا) ، وكذا أصبحت (زنجبار) و(بمبا)و(مافيا) محميات أوربية،وأعطيت الحبشة آنذاك ــ دعماً لها

وتقديراً لمحاربتها المسلمين في بلادها ـ الأجزاء الغربية من الصومال التي لاتزال حتى الآن ضمن أراضيها وتعرف باسم (الأوغادين) ، وبهذا تجزأت بلاد المسلمين في شرقي إفريقية بين عدة دول أوربية وأصبحت تحت سيطرتها ، كما أن بعضها الآخر قد أصبح تحت سيطرة أبناء المنطقة من النصارى وهي الأجزاء التي وضعت تحت حكم الحبشة وسواء أكانت من أرض الصومال أم من غيره .

هذا في شرقي إفريقية أما في الغرب فقد كان ملك البلجيك يطلق يده في تلك البقاع وقد تم له السيطرة على منطقة الكونغو في عام ١٣١٢ هـ .

ولم يقتصر التقسيم على هذه المناطق بل شمل بلاداً واسعة اخرى سواء أكانت في إفريقية أم في غيرها ، ولكن لا يهمنا هنا سوى هذه البقعة التي نتحدث عنها والتي تتصل مع (بوروندي) وسواء أكان هذا الاتصال بالأرض أم بالاستعمار ، أو التي وصل الاسلام إلى أهالي (بوروندي) عن طريقها .

تسلمت ألمانيا حكم مستعمراتها بما في ذلك (بوروندي) ، ومنعت تجارة الرقيق ، وتلا ذلك توسع كبير في نشاط الدعوة الاسلامية ، وتوطد السلام والنظام في الجهات الداخلية ، ومدت السكك الحديدية وأنشئت الطرق ، وحينئذ استطاع التاجر المسلم أن يشق طريقه في مناطق كانت مغلقة في وجهه حتى ذلك الحين . وقد اختارت ادارة هذه البلاد موظفيها من بين أكثر السكان المسلمين

ثقافة لأن أهـل البلاد من غير المسلمين كانوا لايستطيعـون أن يمارسوا أي عمل إداري لحياتهم القبلية وعدم انتشار العلم بينهم، كما أن الألمان كانوا قلة في البلاد بحيث لا يستطيعون القيام بأكثر من عملية الاشراف على الجهاز الاداري ، ولهذا اضطرت ألمانيا أن تسند إلى المسلمين آلاف الوظائف التي أنشأتها ، وقـد استفاد هؤلاء الموظفون من مراكزهم التي شغلوها في إدخال قرى بأجمعها في الإسلام . وكان معلمو مدارس الدولة مسلمـين كذلك لأنه لايوجد من يشغل هذه الوظائف غيرهم ، وقد لوحظ أن معلمـي المدارس من السواحلية يقومون بنشاط حي وناجح في نشر الدعوة بين الأهالي . ولكن نشاط هذه الحركة الجديدة في نشر الدعـوة أصبح يسترعي النظر إلى حد كبير في الجهات الداخلية في مطلـع القرن الرابع عشر الهجري وبخاصة بعد القضاء على ثورة ١٣٢٣هـ . حيث ظهر أن دوافعها إسلامية ومحركيها وقادتها من المسلمين أيضاً إذ مع إنتشار الإسلام تتسع فكرة المقاومة إذ أن ولاية الكافر غير واردة في نظر الإسلام ، وإن ساعد وجوده ، أو اضطرته الظروف للعمل مع المسلمين أو السكوت المؤقت عن نشاطهم .

ولم تكن هذه الثورة الوحيدة التي قامت في تلك الجهات إذ سبقتها انتفاضات كثيرة فما أن دخل الألمان حتى قـام المسلمون بحركة قادها (بشير بن سالم) عام ١٣٠٧ هـ ، وقد استطاع الألمان القضاء عليها بفضل تفوق السلاح والامكانات الحربية وكثرة الجنود المرتزقة الذين اشتركوا في العمليات الحربية ضد المسلمين . وحاولت ألمانيا أن تحكم المنطقة حكماً مباشراً بعد أن آلت إليها ملكية الشركة

الألمانية لشرقي إفريقية عام ١٣٠٩ هـ ، ولكن لم يزد عدد الألمان الموجودين في المنطقة على مائة رجل وهذا العدد غير كاف للحكم ، وعينت ألمانيةالدكتور (بيترس) مندوباً سامياً للامبراطور ، فاشتهر هذا الرجل بقسوته وتعطشه للدماء مما أجبر الحكومة الألمانية إلى تغييره عام ١٣١٥ هـ .

وحاولت ألمانيا لحماية مصالحها أن تستولي على كثير من الأراضي وتفرض ضرائب جديدة مما أدى إلى قيام حركة التمرد العنيفة التي عرفت بحركة (ماجي ما جي) التي استبسل فيها الوطنيون في الدفاع عن أنفسهم ، وأصبح دفاعهم يضرب به المثل في إفريقية كافة بل أصبحت كأنها أساطير تروى ، وحرق الألمان المنازل والقرى لإخماد التمرد الذي ذهب ضحيته أكثر من عشرين ألفاً من الإفريقيين ، وحاولت ألمانيا أن تغطي الموقف بأن تقوم ببعض المشروعات الاستصلاحية ، وأن تتغاضى بعض الشيء عن سير الدعوة .

وقد سايرت حركة التوسع في نشر الدعوة هذه بصفة خاصة السكك الحديدية والطرق التجارية الكبيرة والمشروعات الاستصلاحية التي قامت فانتشرت في خط مستقيم عبر إفريقية الشرقية الألمانية حتى حدودها الغربية على بحيرة (تنجانيكا) وبلاد (راوندا) و (بورندي) . وكان الذين قاموا بنشر هذه الدعوةمن التجار ، وبخاصة أهالي الساحل والجنود وموظفي الحكومة . وينظر الوثنيون هناك إلى قبول الاسلام على أنه دليل

على الترقي إلى حضارة ومنزلة اجتماعية أرفع مما هم فيها ، ويقال إن الازدراء الذي كان ينظر به المسلمون إلى الوثنيين طالما كان عاملا حاسماً في تحولهم إلى الاسلام[1] . كما أن الالمان قد اضطروا لاستقدام الهنود للعمل في مستعمراتهم وبين الهنود عدد غير قليل من المسلمين .

اندلعت نار الحرب العالمية الأولى عام ١٣٣٣ هـ ، وهزمت ألمانيا أمام الحلفاء ، وفي الوقت الذي دخلت فيه الجيوش الانكليزية إفريقية الشرقية الألمانية من الشرق وضع البلجيك أيديهم على الأجزاء الغربية منها وهي (رواندا) و (بورندي) ، وانتهت الحرب ووضعت المستعمرات الألمانية تحت وصاية عصبة الأمم ، وهي بدورها قد أوكلت انكلترا إلى الاشراف على القسم الأكبر والشرقي من إفريقية الشرقية الألمانية وقد عرف هذا القسم باسم (تانجانيكا) على حين أوكلت إلى البلجيك الاشراف على القسم الغربي الصغير وهو مقاطعات (رواندا) و (بورندي) .

---

(١) الدعوة إلى الاسلام : توماس .و. ارنولد ترجمة حسن ابراهيم حسن وشركاه الطبعة الثانية ١٩٥٧ م ص ٣٨٢ — ٣٨٣ .

بوروندي
تحت وصاية بلجيكا

خشيت بلجيكا من وجود المسلمين في المناطق التي تسيطر عليها وبخاصة أنهم عنصر واعٍ وعلى صلة ببقية المسلمين إضافة إلى أن الشعب يقدمهم لنشاطهم في كل مجال لذا فقد عملت على إعاقة سير الإسلام وسرعة انتشاره بما تملك من جيوش وما يخضع لها من ارساليات فكانت تبث الفتن والدسائس بين أبناء (بوروندي) ، وتحرض السلطات الحاكمة على المسلمين ، وتشجع البعثات التبشيرية النصرانية ، ثم عزلت المسلمين بعضهم عن بعض أي منعت سفر المسلم البوروندي إلى شرقي (الكونغو) حيث يوجد مسلمون أو إلى (رواندا) رغم أنها جميعها تخضع لسيطرة واحدة ووصاية واحدة وهي الدولة البلجيكية ، ومنعتهم من التجمع ، وسلبت منهم بعض ممتلكاتهم بحجة أنها بحاجة إليها لبناء كنائس ومدارس للشعب كله لا لفئات معينة ، ووضعت المعوقات أمام تعليم المسلمين ومع هذا فلم ييأس المسلمون إذ استمر بعضهم يعلم بعضاً في مدارس خاصة أو في البيوت وبقي بعضهم يتصل ببعض رغم الاحتياطات الكاملة من جهة الاستعمار تسللا ومخاطرة حتى ضاقت السلطات الكنسية والاستعمارية ذرعاً بوسائل المسلمين في تعليم أبنائهم والحفاظ على

عقيدتهم والتمسك بها فلجأت عام ١٣٤٦ هـ إلى إصدار قرار يقضي بقصر التعليم في أنحاء البلاد الخاضعة لها كافة على مدارس التبشير وارسالياته • ونتيجة هذا القرار سادت الأوساط الإسلامية موجة من السخط والجزع على مستقبل أبنائهم فقاموا مطالبين بحقوقهم في حرية تعليم دينهم ، وهنا استغلت السلطة الاستعمارية هذا التحرك وعدّته نوعاً من العصبيات وإثارة الشغب فسامتهم سوء العذاب خسفاً وقتلاً ونهباً وتشريداً ، وإذا كانت أوكلت إلى أصحاب السلطة في (بوروندي) تعذيب المسلمين فقد قضت على الممالك الإسلامية الصغيرة التي كانت قائمة في شرقي الكونغو ، وهدّمت كل مساجدها ومدارسها حتى أصبحت أثراً بعد عين ، ولا يعرف اليوم للقرى التي كانت زينة المنطقة موقع إلا في ثنايا كتابات الرحالة من البلجيك الذين رووا للتاريخ أن هناك شيئاً كان اسمه ممالك إسلامية ، واستمرت هذه الحالة حتى عام ١٣٦٣ هـ حيث اجتمع المسلمون ولأول مرة في تاريخهم وأسسوا جمعية إسلامية هي الجمعية العربية الاسلامية وفي العام نفسه فتحوا مدارسهم من جديد وأعادوا أيضاً بعض مادمر من مساجد • إلا أن هذه الجمعية قد بقيت تعمل في نطاق محدود لأن السلطة البلجيكية لم تعترف بالديانة الاسلامية ولذا فقد رفضت تسجيل هذه الجمعية ضمن عداد الجمعيات التي تعمل للدعوة الى الدين • واستمرت الضائقة حتى خرج المستعمرون من المنطقة ، وكانت المنطقة قد وضعت الانتداب البلجيكي إثر الحرب العالمية الأولى ، ولكنها بعد الحرب العالمية

الثانية عام ١٣٦٥ هـ قد انتقلت الادارة منها إلى وصاية الأمم المتحدة تحت الادارة البلجيكية ، وكلا الأمرين واحد إذ لم يتغير الوضع .

الاستقلال :

خرجت بلجيكا من (بورندي) عام ١٣٨٢ هـ وتسلم الحكم الملك (موامي موامبوتزا) ، ولكن إن خرجت الجيوش البلجيكية من (بورندي) إلا أن أفكارها هي التي بقيت مسيطرة ، وبقيت الكنيسة وارسالياتها هي الفعّالة بكل شيء وكما حاربت الاسلام أثناء الاستعمار حاربته بعده وبكل عنف ، كما بقيت فتن بلجيكا هي التي تعمل ودسائسها هي تحرك الأحزاب الموجودة ، وقتل ابن الملك .

وفي عام ١٣٨٦ هـ تغيرّ الحكم وأصبح جمهورياً وكانت تعرف باسم (اورندي) فعندما فصلت بعد الاستقلال عن (رواندا) عرفت باسم (بورندي) . والحاكم اليوم هو (شيمبورو) وهو قائد عسكري . ومع كل ما عليه فقد اعترف بالدين الاسلامي ، وأعطى المسلمين شيئاً من الحرية ولكن مخلفات الفقر والجهل والخوف من الحكم والحذر من كل غريب كان قد جعل سير الدعوة بطيئاً مع أن الجمعية الاسلامية قد أعادت نشاطها واقامت بعض المساجد في (مورامفيا) و (جيتيقيا) و (نجوزي) .

السكان

تبلغ مساحة بورندي ٧٠٧ر١٠ ميل مربع أو مايعادل ٠٠٠ر٢٧ كم٢ أي قريباً من مساحة فلسطين ، ويقدر عدد سكانها بأربعة ملايين نسمة ، وبذا تكون الكثافة ما يقرب من ١٦٠ شخص في كل كيلو مترمربع واحد ، وهي كثافة كبيرة إذا قارناها مع بقية مناطق إفريقية وبخاصة تلك التي تقع مثلها في هذه العروض الدنيا ، ويعود ذلك الى جودة المناخ نتيجة الارتفاع في ذلك الوسط الحار الرطب الذي لا يصلح كثيراً لسكنى البشر ، هذا الارتفاع الذي يعدل من الحرارة ويقلل من الغابة التي تضمر إلى درجة لا نجدها إلا حول مجاري المياه أو في البقاع المنخفضة ، وتتحول إلى أعشاب ، ويمحو أثر الحميات المنتشرة في تلك الجهات بسبب البعوض الذي تكون المناطق الحارة الرطبة موئلاً له .

أصل السكان :

يعود السكان في أصولهم إلى العنصر الزنجي ، ويتمثل هذا في قبائل (الهوتو) التي تمثل أكثرية السكان إذ تبلغ نسبتهم ٦٥٪ ويمتاز أفراد هذه القبيلة بالقامة القصيرة (١٥٧ سم) والشفاه

الغليظة ، والأنف الأفطس ، والرأس الكبير ، والصدر العريض ، والشعر المفلفل . كما دخلتها بعض الجماعات الحامية وهي قبائل (التوتسي) التي شكلت طبقة حاكمة سيطرت على المنطقة،وتشكل ٢٥٪ من السكان . وإذا كانت قبائل (الهوتو) قد استطاعت أن تهجّر كثيراً من (التوتسي) في (رواندا) وتطردهم إلى (أوغندة) و (زائير) و (بورندي) ، وتتسلم السلطة هناك إلا أن هذه القبائل (التوتسي) قد استطاعت الاحتفاظ بمركزها في (بورندي) واستمرت في حكمها ، ويمتاز أفراد هذه القبيلة بطول القامة (١٧٦ سم) ، والبشرة السمراء ، ونعومة الجسم ، فهم أكثر شبهاً بسكان الصومال،كما يمتازون بالجمال ودماثة الخلق ، ويعرفون بالذكاء . وهناك بعض القبائل الصغيرة الأخرى وبعض الأجانب ، ويتوزع السكان حسب الأجناس على الشكل التالي :

هوتو	٦٥ ٪
توتسي	٢٥ ٪
قبائل أخرى	٠٥ ٪
أجانب	٠٥ ٪
	١٠٠٪

الدين :

يدين أكثر سكان (بورندي) بالوثنية إلا أن سيطرة المستعمرين النصارى على المنطقة ونفوذ الارساليات النصرانية الكبير ، وتسلمها

وسائل الاعلام ، وسيطرتها التامة على التعليم والصحة ، وجعل المناصب الكثيرة مخصصة للذين يعتنقون عقيدتها ، إضافة إلى الإمكانات الضخمة التي تحت تصرفها ، وفقر الشعب ،كل هذا جعل عدداً كبيراً من الوثنيين يظهرون اعتناق الديانة النصرانية وماهم في الحقيقة منها بشيء ٠ وحسب الظاهر فإن أصحاب الديانات يتوزعون على الشكل التالي :

النصارى	ويشكلون	٧٠ ٪	أي	٢٫٨٠٠٫٠٠٠
المسلمون	ويشكلون	٢٠ ٪	أي	٠٫٨٠٠٫٠٠٠
الوثنيون	ويشكلون	١٠ ٪	أي	٠٫٤٠٠٫٠٠٠
		١٠٠ ٪		٤٫٠٠٠٫٠٠٠

النصارى :

وقد وصلت النصرانية إلى (بورندي) تحت تأثير الاستعمار سواء أكان ألمانيا أم بلجيكياً ، والارساليات التبشيرية كثيرة في البلاد وتعود إلى الكنيسة البروتستانتية ، ولما كان البلجيك من الكاثوليك لذا كانت نسبتهم في (بورندي) أكبر ٠

الكاثوليك ويشكلون	٦٢ ٪	من النصارى
البروتستانت ويشكلون	٣٨ ٪	من النصارى
	١٠٠ ٪	

ويعتنق النصرانية جماعات من القبائل المختلفة وإن كانت النسبة بين (الهوتو) أكبر نتيجة فقرهم وبعدهم عن الحكم والجهل الذي يخيم على نسبة عالية منهم ولهذا نجد :

٤٢ ٪ من قبيلة الهوتو يعتنقون النصرانية بينما
١٧ ٪ فقط من قبيلة التوتسي يدينون بها .

وكذا نسبة صغيرة من القبائل الأخرى . أما الأجانب ، فالأوربيون منهم كلهم من النصارى ، ويزيد عددهم على ٤٠٠٠ شخص وأكثرهم من البلجيك ، وقد جاءوا مع الاستعمار ومنحوا أفضل الأراضي وأخصبها ، فأقاموا عليها المزارع ، وبقوا بعد خروج المستعمرين .

المسلمون :

ويشكلون ٢٠٪ من السكان وهم موزعون على طوائف هي :

السنة : وهم على المذهب الشافعي ، وتبلغ نسبتهم ٨٠٪ من المسلمين .

الأباضية : وتبلغ نسبتهم ١٠٪ من المسلمين ، وأغلبية الأجانب منهم من عمان .

الشيعة : وتبلغ نسبتهم ٠٨٪ من المسلمين ، وأكثر الأجانب منهم من أصل شيرازي .

الاسماعيلية : وتبلغ نسبتهم ٠٢٪ من المسلمين ، وأكثرهم

من الهنود والذين أثروا عليهم ، إذ أن الاسماعيلية تلقى بعض الدعم من المستعمرين بالنسبة إلى بقية الفئات الاسلامية •

وقد وصل المسلمون إلى (بورندي) عندما كانت سلطنة (زنجبار) هي صاحبة السلطة في هذه المناطق ، حيث كانت مدينة (أوجيجي) على بحيرة (تانجانيكا) مركزاً كبيراً للمسلمين ،ومنها انتقل المسلمون إلى (بوجمبورا) حاضرة (بورندي) اليوم ، ثم توزعوا في أنحاء البلاد كافة، ونشروا دعوتهم ، ثم انتشر المسلمون عندما اضطر المستعمرون الألمان استعمال المسلمين في الوظائف وكذلك استقدام عدد من الهنود للعمل في البلاد •

والقبيلتان الرئيسيتان فيهما نسبة من المسلمين ، وإن كانت الأكثرية بين أفراد قبيلة الهوتو الزنجية ، أما القبيلة الحاكمة وهي (التوتسي) فإن نسبة المسلمين بينهم ضعيفة وهي على شكل التالي :

الهوتو ونسبة المسلمين بينهم ١٦٪ ويساوي هذا ٨٠٪ من المسلمين •

التوتسي ونسبةالمسلمين بينهم ٣ ٪ ويساوي هذا ١٥٪ من المسلمين •

الأجانب وبقية القبائل ونسبة المسلمين بينهم ١ ٪ ويساوي هذا ٠٥٪ من المسلمين •

ومعظم الأجانب من غير الأوربيين هم من المسلمين سوى بعض الهنود •

وتقسم (بوروندي) إلى ثماني محافظات هي : جيتيقيا ، مورامفيا ، نجوزي ، بوروري ، بوبانزا ، موينقا ، روتانا ، رويقي • ويتجمهر المسلمون في المحافظات الأربع الأولى، كما أنهم يتكاثرون في العاصمة (بوجومبورا) التي يزيد عدد سكانها على خمسين ومائة ألف ، وفيها خمسة عشر مسجداً، تقام صلاة الجمعة في أربعة منها ، ولكل مسجد جماعة خاصة والاختلافات المذهبية قائمة ــ مع الأسف ــ • وقد كانت الجمعية العربية الاسلامية ذات أثر كبير إلا أنها قد تعرضت لأزمة إذ هاجر كثير من العرب إلى بلادهم وتركوا الجمعية للإفريقيين الذين لم يمض عليهم إلاّ وقت يسير حتى تقاسموا ماليتها ، ولم يبق لها أي أثر غير بناء مدرسة كبيرة في أرض واسعة استولت عليها الحكومة في الأعوام الأخيرة وفتحتها للدراسة ، وفيها الآن ما يزيد على ٦٠٠ طالب أكثرهم من المسلمين ، والباقي من النصارى ولا يزيد عددهم على مائة طالب فيها • ثم انشىء في العاصمة عدة مدارس ،وثلاثة مساجد بجهود الذين قدموا إلى (بوروندي) من بلاد (مالي) •

ويوجد في مختلف المدن مدارس وكتاتيب ، وإن كان هذا لايفي بالغرض المطلوب إذ أن عدد الطلاب كبير جداً والذين يطلبون الانتساب كثير مما يجعل الأمكنة المخصصة لذلك لاتتسع وأضعافها لمثل هذه الأعداد ، إضافة إلى أن الارساليات التبشيرية تملك امكانات ضخمة وتيسر التعليم لكل طالب•••• وإذا لم يتهيأ الجو الاسلامي والمكان المتسع للطلاب المسلمين فإنهم سيتوجهون إلى مدارس الارساليات النصرانية •

ومن المدارس الموجودة : مدرسة (الحسيني) وفيها أكثر من خمسمائة طالب ، ومدرسة (الارشاد) وتضم ثلاثمائة طالب ، ومدرسة (التوحيد) وينتسب إليها مائتا طالب ،ومدرسة (التهذيب)، والمدرسة (السنية) ،والمدرسة الحكومية التي كانت تتبع الجمعية العربية الاسلامية ومديرها من النصارى ، وكذا يدرس فيها عدد من أبناء دياتته •

الوثنيون :

ويشكلون ١٠./ من السكان إلا أنه في الواقع هم أكثر من ذلك بكثير إذ يعتنق عدد منهم النصرانية ظاهرياً ليحصل على ما يريدون أو يحق لهم التعليم والطب في مدارس ومستوصفات الارساليات التبشيرية ولكن الطقوس الوثنية هي التي يمارسونها•

اللغة :

توجد في البلاد عدة لغات فهناك لغة وطنية وتعرف باسم (الكيروندية) أو (البروندية) وتكتب بأحرف لاتينية ، ولكن السكان جميعاً يعرفون اللغة السواحلية وينظر إليها على أنها لغة المسلمين إذ جاءت من المناطق الساحلية مع المسلمين يوم كانت الكلمة لسلطنة (زنجبار) •

أما اللغةالرسمية فهي الفرنسية لغة بلجيكاالتي كانت تستعمر البلاد •

ومن المدارس الموجودة : مدرسة (الحسيني) وفيها أكثر من خمسمائة طالب ، ومدرسة (الارشاد) وتضم ثلاثمائة طالب ، ومدرسة (التوحيد) وينتسب إليها مائتا طالب ،ومدرسة (التهذيب)، والمدرسة (السنية) ،والمدرسة الحكومية التي كانت تتبع الجمعية العربية الاسلامية ومديرها من النصارى ، وكذا يدرس فيها عدد من أبناء دياناته .

الوثنيون :

ويشكلون ١٠٪ من السكان إلا أنه في الواقع هم أكثر من ذلك بكثير إذ يعتنق عدد منهم النصرانية ظاهرياً ليحصل على ما يريدون أو يحق لهم التعليم والطب في مدارس ومستوصفات الارساليات التبشيرية ولكن الطقوس الوثنية هي التي يمارسونها .

اللغة :

توجد في البلاد عدة لغات فهناك لغة وطنية وتعرف باسم (الكيروندية) أو (البروندية) وتكتب بأحرف لاتينية ، ولكن السكان جميعاً يعرفون اللغة السواحلية وينظر إليها على أنها لغة المسلمين إذ جاءت من المناطق الساحلية مع المسلمين يوم كانت الكلمة لسلطنة (زنجبار) .

أما اللغة الرسمية فهي الفرنسية لغة بلجيكا التي كانت تستعمر البلاد .

أخضر لذا فهو يسلق أو يشوى على النار ليتمكن الافراد من تناوله •

وهناك المانيهوت وهو من الجذور الدرنية، ويسمى في بوروندي (اوغاري) •

ولحم البقر هو الذي يستعملونه في الاطعمة جميعها ، ولا يمكن للسكان أن يتناولوا لحم الضأن مهما بلغ بهم الجوع • وربما كان ذلك بسبب أتتشار الابقار على نطاق واسع •

التعليم :

حالة التعليم متأخرة وبخاصة لدى المسلمين الذين لا تستوعبهم المدارس الاسلامية ، ويرفض بعضهم الانتساب الى مدارس الارساليات النصرانية حرصاً على عقيدتهم أو بالاحرى فإن تلك المدارس التبشيرية ترفض إلامن كان ينتمي إلى عقيدتها وقد فتحت أصلا للتبشير وإمكانية التأثير على السكان •

كما أن حالة التعليم متأخرة بشكل أكثر وضوحاً لدى الوثنيين •

أما النصارى فالتعليم أفضل عندهم لما يملكون من إمكانات ضخمة ، وما يصل اليهم من مساعدات كبيرة عن طريق اتحاد الكنائس العالمي والدول النصرانية •

والحالة نفسها بالنسبة إلى الصحة •

أرض بوروندي

تقع بوروندي في وسط إفريقية وإن كانت تتبع شرقيها وعلى مقربة من خط الاستواء في نصف الكرة الجنوبي بين خطي عرض ٢٠ر٢ ــ ٣٠ر٤ جنوباً وبين خطي طول ٢٩ ــ ٥٠ر٣٠ شرقاً .

ومن المعلوم أن إفريقية جزء من القارة القديمة «غوندوانا» ذات الصخور الصلدة ، وقد حدث فيها انكسار أدى إلى انفصال شبه جزيرة العرب عن إفريقية وتكوّن أخدود بينهما ملأته المياه فكان البحر الأحمر واستمر هذا الأخدود نحو الشمال حتى شمالي سورية ، وملأت المياه بعض أجزائه فكانت بحيرة طبرية والحولة والبحر الميت ، وتشكلت السهول في أجزاء أخرى ، وكذلك أمتد فيأواسط إفريقية إلا أنه هناكان على شكل أخدودين وتمتد حدود دولة (بوروندي) الغربية وسط الأخدود الغربي كما تشمل جزءاً من بحيرة (تانجانيكا)[1] التي ترتفع ٨٤٥ م عن

---

(١) تانجانيكا : بحيرة تمتد على طول ٦٤٠ كم من الشمال إلى الجنوب ويبلغ عرضها ٥٠ كم وتزيد مساحتها على ٣٥ ألف كم ويبلغ عمقها ١٤٣٥ م وفيها نوع من السمك فريد من نوعه في العالم ، وضفافها مرتفعة حتى تصبح أحيانا جبالا حقيقية ذات انحدار شاقولي على البحيرة وكثيرا ماتهب عليها عواصف فتضطرب مياهها الزرقاء الجميلة .

سطح البحر وتسير الحدود مع (زائير) في وسطها ، وتقع العاصمة (بوجومبورا) على طرفها الشمالي . أما بقية الأراضي البورنديه فتشمل المرتفعات المطلة على الأخدود الغربي من جهة الشرق والتي زاد من ارتفاعها المقذوفات البركانية التي اندفعت نتيجة البراكين التي ثارت بسبب الصدوع التي حدثت، إذ يصل ارتفاعها في الجنوب إلى ٢٧٣٠ م ، وهي تميل بشدة نحو الأخدود الغربي حتى لا تترك بينها وبين شاطيء البحيرة إلا منطقة ضيقة تتوسع قليلاً شمالي العاصمة ، ثم تعود إلى الضيق حيث يجري نهر (روزيزي) بين بحيرتي (تانجانيكا) و (كيفو) . أما من ناحية الشرق فتميل ببطء ويكون ميلها نحو الشمال الشرقي حيث يجري نهر (كاجيرا)

تقع (بورندي) ضمن المنطقة الاستوائية حيث الحرارة الدائمة والغابة الكثيفة وهذا ما ينطبق على الأخدود ، وأما المرتفعات فتقع ضمن منطقة (السافانا) نتيجة الارتفاع واعتدال المناخ وانخفاض الحرارة النسبي إذ تضمر الغابة الاستوائية وتحل محلها الحشائش الطويلة التي يطلق عليها اسم (السافانا) .

ولا يزداد المدى الحراري كثيراً إذ تصل درجة الحرارة في شهر كانون الثاني وهو صيف نصف الكرة الجنوبي إلى ٢٥° ، ولا تنخفض في شهر تموز وهو شتاء ذلك النصف عن ١٨° وبهذا فإن المدى الحراري هو ٧ درجات فقط .

وتهطل الأمطار في الفصل الحار ويتراوح متوسطها بين

١٠٠ ــ ٢٠٠ سم ، أما الفصل البارد نسبياً وهو الشتاء في نصف الكرة الجنوبي فيكاد يكون جافاً إذ تقل الأمطار كثيراً في حزيران وتموز وآب وأيلول .

وتتجمع مياه الأمطار في مجار تسير إما باتجاه الأخدود حيث تصب في بحيرة (تانجانيكا) أو في نهر (روزيزي) ، وإما نحو الشرق حيث ترفد أنهار (تانزانيا) ولكن أكثرها يتجمع في نهر (كاجيرا) الذي هو أصل نهر النيل إذ يصب في بحيرة فيكتوريا التي يخرج منها نهر النيل ، وهي ذات شواطىء كثيرة التعاريج ، وتبلغ مساحتها ٦٨٫٠٠٠ كم٢ ، وتتقاسمها كل من (تانزانيا) و (كينيا) و (أوغنده) ، وشواطئها وجزرها حافلة بالنباتات الكثيفة وبذبابة (تسي تسي) ، ومياهها صافية رائقة ، يعلو سطحها ١١٤٠ م عن سطح البحر ، ولا يزيد أقصى عمق لها على ٧٥ م ، ويخرج نهر النيل من شمالها مجتازاً زمرة من الشلالات المزمجرة يقال لها شلالات (ريبون) ، ويبدو النهر في هذه الشلالات عظيماً وهو يتكسر بين الجوانب الصخرية وتغشيه نباتات البردي ، وتنتشر فيه التماسيح وأفراس الماء ، وتبلغ غزارته هنا ٦٠٠٠ م٣/ ثا .

ينبع نهر (كاجيرا) من المرتفعات الجنوبية ويتجه نحو الشمال حيث يلتف حول مدينة (جيتيقا) ويتلقى أكبر روافده القادمة من الشمال ويتابع مجراه نحو الشمال الشرقي حيث يشكل جزءاً من الحدود بين (بورندي) و (تانزانيا) يدخل بعدهـ (تانزانيا) ثم يشكل الحدود بين (تانزانيا) و (رواندا) إلى أن

يصل إلى نقطة التقاء الحدود الأوغندية التانزانية الرواندية ثم يتجه نحو الغرب مشكلاً الحدود بين (أوغندة) و (تانزانيا) وبعدها يصبح تانزانياً إلى أن يصب في بحيرة (فيكتورية) عند الحدود الأوغندية التانزانية ويزيد طوله على ٦٠٠ كم • وبعض المجاري المائية تنتهي في الداخل في حوضات مغلقةوتكون بحيرات وأهمها ما يقع على الحدود بينها وبين (رواندا) •

وتنتشر المراعي على نطاق واسع نتيجة الارتفاع بينما في المنخفضات وعلى مجاري الأنهار توجد الأشجار الباسقة والغابة الكثيفة (غابة الأروقة) التي يستفاد من أخشابها •

كما أنه للارتفاع الذي تمتاز به أراضي (بورندي) ميزة كبيرة إذ أن البلاد تخلو من ذبابة (تسي‌تسي) التي تتحكم في الحيوانات وفي كثافة السكان ونشاطهم ، ولهذا رأينا السكان يتكاثرون في هذه المنطقة المرتفعة ، ويربون الحيوانات ، وأهمها الأبقار حيث يزيد عدد قطيعها منها على مليون رأس وضعفها من الماعز لطبيعة البلاد الجبلية،ثم هناك الأغنام التي يصل عددها إلى ٧٠٠ ألف رأس •

كما تشتهر البلاد بالزراعة وأشهر المزروعات البن والقطن والموز والبطاطا والنخيل الزيتي ، والذرة الصفراء الشامية •

ويمتهن بعض السكان صيد السمك من بحيرة (تانجانيكا) • ونجد من المعادن النحاس والقصدير والرصاص والذهب •

وبصورة عامة فالبلاد غنية وتحتاج إلى اليد العاملــة الخبيرة والمشروعات الكثيرة لاستثمار الخيرات •



وأخيراً فقد أعِدّ هذا البحث القصير المتواضع لمعرفة أوضاع إخواننا المسلمين في تلك المناطق النائية عناو دراسة أوضاعهم المادية والاجتماعية عسى أن يكون بعدها عمل مجدٍ للأخذ بأيديهم نحو الطريق المستقيم وإنقاذهم من براثن الارساليات التبشيرية النصرانية بإيفاد المعلمين إليهم وتقديم المنح الدراسية لهم ومساعداتهم المادية لتنفيذ المشروعات الانمائية وبعث الدعاة بعد ذلك إليهم ، وليس غريبا أن تنقلب تلك الديار إلى أراضٍ إسلامية إذا خلص العمل لله وعندها يكون المسلمون كما قال رسولهم الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر البدن بالسهر والحمى » ، وبخاصة أن المسلمين هناك لاينظرون إلا إلينا وقلوبهم معنا وأفئدتهم تهوى إلى ديارنا ونحن — مع الأسف — لا نعرف شيئاً عنهم .

فنرجو أن يكون عملنا هذا خالصا لله ، والله نسأل الهدى وسداد الخطا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الرياض : غرة صفر ١٣٩٦ هـ .

الفهـرس

مواطن الشعوب الاسلامية

في آسيا

١ ــ تركستان الغربية •

٢ ــ تركستان الشرقية •

٣ ــ قفقاسيا •

٤ ــ باكستان •

٥ ــ اندونيسيا •

٦ ــ اتحاد ماليزيا •

٧ ــ فطاني •

٨ ــ المسلمون في قبرص •

٩ ــ المسلمون في الفيلبين •

١٠ ــ جزر المالديف •

١١ ــ افغانستان •

١٢ ــ تركيا •

١٣ ــ إيران •

١٤ ــ شبه جزيرة العرب •

١ ــ عسير •

٢ ــ نجد •

٣ ــ الحجاز •

مواطن الشعوب الاسلامية
في إفريقية

١ ـ غينيا .
٢ ـ نيجيرية .
٣ ـ الصومال .
٤ ـ موريتانية .
٥ ـ ارتيرية والحبشة .
٦ ـ تشاد .
٧ ـ تانزانية .
٨ ـ السنغال .
٩ ـ اوغندة .
١٠ ـ ليبيا .
١١ ـ السودان .
١٢ ـ جزائر القمر .
١٣ ـ المسلمون في بورندي .
١٤ ـ مالي .

كتب اخرى

١ ـ العالم الاسلامي ومحاولة السيطرة عليه •
٢ ـ الكشوف الجغرافيـــة •
٣ ـ اقتصاديات العالم الاسلامي •
٤ ـ سكان العالم الاسلامي •
٥ ـ المسلمون تحت السيطرة الشيوعية •
٦ ـ المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية •
٧ ـ الجماعات البدائية •
٨ ـ جغرافية البيئات •
٩ ـ خراسان •